[69] رأي السكون من ناحية الخلافة سائدا في العاصمة بلا اضطراب، وبدون أمارات تنذر بالقلق، كما كانت في ايام القادر، وفي هذا الشأن كان يقول: أما تحرك للاقدار نابضة * أما يغير سلطان ولا ملك ؟ قد هادن الدهر حتى لا قراع له * وأطرق الخطب حتى ما به حرك أظلت السبعة العليا طرائقها * أم اخطأت نهجها أم سمر الفلك ؟ 3 - إمارة الحج، فهي التي نبهت هواجسه التي تنمو بنموه، واذكت فيه ذلك الشعور الملتهب الذي يتحفز ولا يهدأ ولا يقنع بما دون الخلافة إلا ساخطا على القضاء، وليس ذلك لما في تلك الامارة من سلطة محدودة ومقصورة على البادية فان سلطة النقابة الدائمة أقوى منها وأكمل، بل لانها قد أكدت الصلات بينه وبين سراة البادية وزعمائها في جزيرة العرب كلها، وهم هم المتنفذون، وهم الذين يتمكن الشريف ان يفسر بهم أحلامه، ويحقق امانيه التي يظهرها قوله: متى أرى الزوراء مرتجة * تمطر بالبيض الظبى أو تراح يصيح فيها الموت عن ألسن * من العوالي والمواضي فصاح وهذا أقوى الاسباب فيما أرى لدى الشريف، لانه إن تم لا يقصر خلافته على العراق فقط أو حيث تمتد سلطة بني بويه بل يسير بها في جزيرة العرب كلها، ويدلنا على أن الشريف يطمع في عموم الاستخلاف الذي ينحصر بهذا السبب قوله: لست للزهراء إن لم ترها * كوعول الهضب يعجمن اللجم يستجن البدر من فرسانها * بين بغداد إلى أرض الحرم
